هل من منهج أهل الحديث والأثر الاعتماد على الشائعات في باب النقد وإسقاط المخالف ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

أكتب هذه الكلمات تنبيها لبعض الناس الذين سلكوا غير منهج أهل الحديث في نقد من يرونه مخالفا، وذلك باعتمادهم على روايات الكذابين والحزبين، ودعاة الفتن، الذين يقولون قولا في السر، وآخر في العلن، وإذا قوبلوا بأقوالهم قالوا: زلة لسان.!!

إن كلمة (الشائعات) ، مأخوذة من : شاع ، يشيع ، شيعا، وشيوعا ومشاعا، وشيوعة، وشيعانا، بمعنى : ذاع وفشا.

والمراد منها: إذاعة الأخبار الكاذبة والمختلفة والمخالفة للواقع والحقيقة، والسعيُ في نشرها بين أو ساط المسلمين، والاجتهاد في بثها في مجالس أهل العلم، لغرض الفتنة وتشويه سمعة الخلق، وإسقاطهم، وعزلهم عن دعوة الخلق إلى الحق، وغرس القلاقل في صف المجتمع والواحد، وإشغال شباب الأمة بالقيل والقال .فأركان الشائعات: الكذب، والحسد، وحب الانتقام، والأنانية، والتلون في المواقف، وبغض المنافس، وأمراض متكدسة في القلوب، وكوامن فاسدة، وهي أمراض خطيرة إذا اجتمعت في عبد سيّرته إلى فتنة تمشي فوق الأرض والله المستعان.

إن أول من باشر أسلوب الشائعات كسلاح لهزّ الأمن والأمان، ونزع الثقة من عباد الرحمن، وتلويث سمعتهم عند الخلق، أو عزلهم عن المجتمع إبليسُ أبو مرّة نعوذ بالله من شره وشرّ أتباعه من الجن والإنس حين صرخ بأعلى صوته في غزوة أحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فدّب الرعب إلى قلوب بعض المسلمين، وتنحى بعضهم جانبا فجلس دون قتال، وكان أمر الله قدر مقدورا كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله.

وقد صار على درب إبليس أبي مرّة المنافقون قبحهم الله حين أذاعوا أن عائشة بنت الصديق الطاهرة الصديقة العفيفة وقعت في الفاحشة لينالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويثيروا الشكوك في دعوته، ويبعدوا الناس عن الحق الذي جاء به. ومع قبح قول المنافقين، وسماجته وجدوا آذانا صاغية وألسنة ذائعة كما قال تعالى ((وفيكم سمّاعون لهم)) وقد جاء في المثل :لكل ساقطة لا قطة، نسأل الله تعالى أن يجنبنا الغلط واللغط والطعن في الخلق بالخبط والخرط.!

قال الله تعالى :((إن الذي جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم))

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها- حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عزوجل لها ولنبيه صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ((إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم)) أي : جماعة منكم، يعني : ما هو واحد ولا إثنان، بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة: عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن)اهـــ.

وقال كذلك الإمام ابن كثير رحمه الله : (فقوله تعالى ((إن الذين جاؤوا بالإفك)) أي : بالكذب والبهت، والافتراء (عصبة) أي : جماعة منكم، ((لاتحسبوه شرا لكم)) أي: يا آل أبي بكر، ((بل هو خير لكم)) أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف فهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله تعالى براءتها في القرآن العظيم ((الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)) ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنهما وهي في سياق الموت، قال لها: أبشري، فإنك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يحبك، ولم يتزوج بكرا غيرك، ونزلت براءتك من السماء)اهـــ .

ومن النصوص القرآنية التي يحذر الله فيها من منهج دعاة بثّ الشائعات لإسقاط الخلق و تشويه سمعتهم قوله جلّ وعزّ: ((إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)).

وفي هذه الآية الكريمة زجر وقرع لمن سمع شيئا من الكلام السيئ والخالي من البرهان في حق العدول من أهل السنة، فقام بذهنه شيء منه، فإنه لا يشيعه ولا يذيعه بشراهة بغية إحزان الذين آمنوا من إخوانه المسلمين، حتى يتثبت من صحته، ويوقن من وقوعه، وعلامة ذلك أن يرويه الثقات من أهل السنة، لا الملوثين بالحزبية والمناهج الفاسدة. وإن كانت الآية نزلت في أصحاب الإفك، فهي عامة في كل من سعى إلى نشر الأكاذيب والأباطيل والبهتان للطعن في أعراض الأبرياء من أهل السنة، وسواء كان الغرض من بث الشائعات فردا من أبناء الأمة، أو جماعة منها، أو المجتمع كله فذلك كله لا يجوز، وقد أعدّ الله لمروّج الشائعات عذابا أليما في الدنيا، فإن كان الفعل يستوجب الحدّ، حدّ فيه كالقذف، وإن كان من نوع ما لم يجعل له الشارع حدا معلوما فيه، عزّر بشتى أنواع التعزير.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء إثما [وفي رواية كذبا] أن يحدث بكل ما سمع) أخرجه مسلم في مقدمته وأبو داود انظر الصحيحة برقم (2025) للعلامة الألباني رحمه الله.

وعن أبي هريرة كما جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ، تهوي به في النار أبعد مما بين السماء والأرض)

لقد فشى الكذب في هذه الأزمنة، واتخذه أقوام سلاحا فتاكا لهتك أعراض الأبرياء، فإنه ما يغيب نجم ولا تسطع شمس إلا وينتن دعاة الشائعات والظنون الأكوان بكذبهم البراح الصراح ، دون خجل أو حياء من الله، والعجيب في الأمر أن هذا الخمج والعفن يصدر من أناس يعرفون الحلال والحرام، ويزعمون أنهم دعاة إلى الخير، بل لعلهم يعدون أنفسهم خلاصة البشر من غير نقاش أو إعادة نظر.

وسلوان المتضررين من منهج دعاة الشائعات في محنتهم ما قالت الصديقة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ((فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون))

وقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بِنَبأ فتبَيَّنُوا أن تُصِيبوا قَوماً بِجَهالةِ فَتُصبحوا على ما فعلتم نادمين))،قال ابن كثير رحمه الله: ((يأمر تعالى بالتثبت في خبرِ الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه. وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين))

إن أهل الحديث والأثر جعلوا هذه الآية وما جاء في معناها قاعدةً، وبُنِيَ عليها علمُ الرجال والجرح والتعديل؛ ومنهج نقد المخالف .

التتمة:

وهي قاعدة عظيمة، ودليل جلي على أهمية التثبت عند سماع الأخبار والروايات، وخاصة إن كانت صادرة في أهل العدالة والعلم .

وقال تعالى في سورة النساء: ((يا أيها الذين ءامنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبيّنوا إن الله كان بما تعملون خبيرا)).

يقول العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبيّنوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة، فإنّ الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة، فالواضحة البيّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل، وأما الأمور المشكلة غير واضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبيُّن، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟ فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكفّ لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بداوتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، [ثم قال رحمه الله]: ثم قال تعالى مذكرا لهم بحالهم الأولى قبل هدايتهم إلى الإسلام: ((كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم))، أي: فكما هداكم بعد ضلالكم، فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئا فشيئا، فكذلك غيركم، فنظر الكامل

لحالته الأولى الناقصة ومعاملته لمن كان على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى ودعائه له بالحكمة والموعظة الحسنة، من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتبيّن فقال: ((فتبيّنوا))؛ فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله وجاهدة أعداء الله، واستعدّ بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم مأمورا بالتبيّن لمن ألقى إليه السلام، وكانت قرينة قوية في أنه سلّم تعوذا من القتل وخوفا على نفسه؛ فإن ذلك يدلّ على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر، ويبين له الرشد والصواب..).

وقال تعالى: ((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)).

قال العلامة ابن كثير -رحمه الله-: (وقوله (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) إنكارٌ على من يبادر إلى الأمور قبل تحقُّقِها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة).

وقال العلامة السعدي في تفسير هذه الآية: (وفي هذا دليلٌ لقاعدة أدبية؛ وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور؛ ينبغي أن يولّى من هو أهلٌ لذلك، ويجعلَ إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه).

قلت: وكثير ممن سلك باب النقد تراه يتوقف في الأمور الجلية، ويبحث عن التعليلات مع ظهورها، كمسألة سيد قطب المصري، وأبي الحسن المأربي، وكثير من المخالفين للحق، وإذا جاء خبر من مجهول أو مريض أو وضاع، أو حقود حسود في حق طالب علم من أهل الحديث والأثر، بادر إلى تصديقه، واجتهد في نشره بين الشباب وعدها من المسلمات والواضحات، وقد يقول لهم: الطالب الفلاني عليه ملاحظات ولكن لا تخبروا أحدا!! والله المستعان.

وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (نهى عن قيل وقال) قال العلامة بن كثير في معنى هذا الحديث من تفسيره لآية سورة النساء السابقة: (أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ولا تدبر ولا تبين).

وقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة أن صلى الله عليه وسلم قال: (من حدث بحديث، وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكذابين).

وأختم هذه الكلمة بهذه النصوص عسى أن يترجر دعاة الوشاية والطعن في أهل الحديث بالأكاذيب الواضحة.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله !أي المسلمين أفضل؟ قال:«من سلم المسلمون من لسانه ويده»، أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أي

الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «أن يسلم الناسُ من لسانك»رواه الطبراني وصححه العلامة الألباني في الترغيب والترهيب.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» رواه الترمذي وصححه العلامة الألباني.

وعن الحارث بن هشام رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرني بأمر أعتصم به؛ فقال: رسول الله: «أملك هذا وأشار إلى لسانه «رواه الطبراني وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

فإياك أخي المسلم أن ترخي الوكاء للسانك فتتكلم في أعراض المسلمين بالكذب والظنون وأخبار المكذوبة فتهلك، وتقع في حمأة الرّدى فتندك عنقك، ولا تُسغي لكل ناعق خوان استلذ لوك أعراض المسلمين بالباطل؛ فإن الأصل في عرض المسلم الحرمة، لحديث أبي هريرة في صحيح مسلم: (كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله)

قال أبو حاتم في روضة العقلاء (ص62): (فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيح له من النطق لئلا يقع في المزجورات، فيكون حتفه فيما يخرج منه، لأن الكلام إذا كثر منه أورث صاحبه التلذذ بضد الطاعات، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يجدي عليه نفعه في الآخرة، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري:

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى * من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه

وأقلل إذا ما قلت قولا فإنــــــــــه * إذا قول المرء قــلّ خـــــطؤه) اهــ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جارُه بوائقه) رواه أحمد وصححه الألباني .

وإذا رأيتم يا عباد الله الصادقين الرجل أو المرأة يتكلمان في عرض مسلم بالباطل فاعلم أن في قلبيهما اعوجاجا والله العاصم من شر اللسان.

فعن أبي وائل عن عبد الله: أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان قل خيرا تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أكثر خطايا ابن آدم في لسانه).

فاحذر أيها السلفي من لسانك فهو مصدر الهلاك إن لم تضبطه بشرع ربّ الأملاك، وتجنب التفكه بأعراض السلفيين خصوصا وبالمسلمين عموما، ولا تتأسى ببعض المرضى، الذين اعتادوا الكلام في الخلق بلا برهان ولا تثبت، فإن قلوبهم مريضةٌ بالحقد على أهل السنة، وعفنة بالحسد وإضمار السوء لهم، فتعوذ بالله من شرهم واقرأ قوله تعالى ﴿ومن شرّ حاسد إذ حسد﴾، وهذا الصنف من البشر يحتاج إلى دعاء الصالحين فهو في بلاء وخيم، فاحمد الله تعالى على السلامة والعافية من الأدواء.

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي قال: (إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق) رواه أبو داود وصححه الألباني.

قد يقول القائل أنا أتكلم لمصلحة الدين؛ وأسجل الأشرطة للذب عن حياضه من تلبيسات المحتالين. نقول له لا بأس، ولكن قبل أن تتكلم وتسأل حرصا على المسلمين من الضياع، اعرف الشريعة جيدا، وامكث في دراستها السنوات ذوات العدد، وزاحم العلماء بالركب، وتطهر من أمراض القلوب كالحسد، واتصف بالورع والزهد حتى يعرفك المجتمع بالطلب والعلم والاستقامة، فالبخاري ومسلم وأحمد، وأبوداود، وأبوحاتم، ....وابن تيمية، وابن قيم،...... والشيخ ابن إبراهيم، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ربيع و...و.... مِن مشايخ أهل السنة لم يتكلموا لمصلحة الدين حتى عرفوا الدين أولا، وعرفوا أصوله وفروعه وما يصلح له.

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج ممّا قال) رواه أبو داود وصححه الألباني.

وردغة الخبال: عصارة أهل النار والعياذ بالله من حرّ جهنم.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مرّ على بغل ميت فقال لبعض أصحابه: (لأن يأكل من هذا حتى يملأ بطنه، خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم) رواه أبو الشيخ موقوفا وصححه الألباني.

ولقد غلا لحم البغال والحمير في الأسواق الصينية، ورخص عرض المسلم عند بعض المسلمين، ، فنجد المسلم يتكلم في أخيه أو طلبة العلم والدعاة إلى الله انطلاقا من روايات الوضاعين، وروس الفتن ويجتهد في التحذير منه ومن دعوته، وإذا ذكر في مجلسه نظر إلى بعض الحضور وقال: أيكم يبادر إلى نشر الأكاذيب التي قيلت فيه وهكذا والله المستعان. بل إن بعضهم لا يعرف المتكلم فيه مع ذلك يرميه بعبارات يتزلزل منها جبل أحد، وإذا قام غيور على عرضه إخوانه من أهل السنة وناقشه في طعنه في أهل الحق، طأطأ رأسه وأحيانا يهرب، والأخرى يقول: المهم المشاركة فقط، وبعضهم همه ترديد العبارات ولا يسأل عن معانيها، وبعضهم يقول: قيل، وقيل!! وهي من صيغ التمريض، فهذا حالنا بين قيل، وروي، وبلغني، و..و..، والضحية الكبرى عرض المسلم السلفي، مع شماتة الحزبين والتكفريين فيه، والله المستعان.

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي الجزائري

ما أكثر بعض طلبة العلم من النفر في إخوانهم من أهل الحديث انطلاقا من روايات المرضى والكذابين دون تثبت.

الإشكال أن بعض النقاد لأهل الحديث يكثرون من قولهم لنا ملاحظات على زيد، وإذا استفسر المخلصون عن الملحظات وجدوها وجهات نظر، وبعضها بني على أمور دنياوية.

هل تتصورون أن رجلا ذهب إلى بعض المشايخ في المملكة وقال عندنا طالب علم إذا جاء إلى بعض المناطق ليلقي بعض المحاظرات يترل في فند ثلاثة نجوم ***

وبعضهم يقول الداعي الفلاني عنده سيارة فخمة

وآخر يقول متزوج بحرمتين وآخر يقول عنده أموال وآخر يقول رأيناه مع كبار المسؤولين وآخر وآخر وآخر وهكذا صار النقد عند بعض الناس ونراهم في نفس الوقت يعانقون الإخوان المفلسين ودعاة الجزأرة المخرفين، وفيمن يطعن في أهل الحديث جهارا نهارا والله المستعان.